صاحب الموصل فامده نور الدين وأعاده الى وظيفته بالثانى حيث أرسل معه جيشا مع أسد الدين شركوه الكردى وكان معه ابن أخيه صلاح الدين يوسف فهزم درغام وقتل وعيدت الوزارة الى شاور ولخوفه من غدر نور الدين بن زنكى تعاهد مع (أمورى الاول) ملك القدس فأتى وحاصر مدينة بلبيس فهزمه شركوه وفر أمورى المذكور الى الشام فخلع الخليفة عليه وقلده الوزارة بدل شاور حيث هو الذى أطمع الفرنج فى الاسلام بعد ان قتله واستمر شركوه وزيرا الى ان مات فخلفه صلاح الدين يوسف الكردى وفى أيامه أراد أمورى الاستيلاء على دمياط فخاب أمله بالكلية الجزئية حيث تبعه صلاح الدين الى ان أدخله أرض فلسطين وانتصر عليه بالقرب من مدينة (غزة) وعند رجوعه من هذه الغزوة صدرت اليه أوامر نور الدين بقطع اسم العاضد الفاطمى من الخطبة ورجوع الدعوة الى الخليفة العباسى المستضىء بالله وهو الخليفة الثالث والثلاثون من خلفاء بنى العباس ومات العاضد بعد ذلك بقليل وبه انتهت الدولة الفاطمية وذلك سنة ١١٧١ م سنة ٥٦٧ هـ

الباب العاشر

الدولة الايوبية الكردية

﴿صلاح الدين يوسف بن أيوب﴾

قبل موت الاتابكى نور الدين لم يكن معتبرا الا كقائد أو عامل الاتابكى المذكور وعند موت نور الدين الشهيد سنة ٥٧٠ هـ أى سنة ١١٧٥ م أشهر لواء الاستقلال وصار سلطانا وفى حياة نور الدين اجتمع السودانيون فى جمع كثير قاصدين ملك بلاد مصر وحاصروا مدينة اصوان وقصدوا نهب قراها وكان بها الامير كنز الدولة فبعث يعلم صلاح الدين ويطلب منه المدد فارسل له جزأ من جيشه مع الشجاع البعلبكى فلما وصل الى اصوان وجد السودانيين قد رحلوا عنها بعد ان أخربوا أرضها

فاتبعهم

فاتبعهم الشجاع المذكور وكنز الدولة وحصلت وقعات عظيمة قتل فيها من الفريقين عالم عظيم ورجع الشجاع المذكور ثم أنفذ الملك الناصر صلاح الدين أخاه شمس الدولة فى عسكر كثيف الى السودان فوجد السودانيين دخلوا بلاد النوبة فسار قاصدا بلادهم وشحن مراكب كثيرة فى النيل بالعساكر والذخائر وأمرهم بالمسير الى بلاد النوبة وساروا حتى وصلوا ابريم وافتتحوها بعد حصار ثلاثة أيام وغنم منها أموالا عظيمة ثم رجع شمس الدولة الى اصوان وذلك سنة ٥٦٨ هـ أى سنة ١١٧٣ م بعد ان سلم قلعة ابريم الى جماعة من الاكراد تحت قيادة ابراهيم الكردى ثم خرج ابراهيم قاصدا جزيرة زبدان ففرق ابراهيم وجماعة من أصحابه ورجع الباقى الى قلعتهم ابريم ثم أخلوها بعد ذلك بسنتين ولما مات نور الدين صاحب الموصل سار صلاح الدين الى الشام فحاصر كثيرا من مدنها واستباح أهلها وفتح أرض الجزيرة وهزم عز الدين صاحب الموصل واستولى عليها وعاد الى مصر وأمر ببناء القلعة الموجودة الآن بالقاهرة وكان محلها يعرف وقتئذ بقصر الهواء وقد ذكر العالم المدقق والجهبذ المحقق سعادة على مبارك باشا فى خططه مانصه بنى قلعة الجبل لتكون له معقلا وحصنا يعتصم به من أعدائه فانه كان يحذر من شيعة الفاطميين فاختار لها المحل الذى بنيت فيه وأقام على عمارتها الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى وبنى سور القاهرة فى سنة ٥٧٢ هـ وهدم ماهنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الاهرام الصغار التى كانت بالجيزة وكانت كثيرة العدد ونقل أحجارها وبنى بها السور وبنى قناطر الجيزة لاجل سهولة نقل الاحجار وقصد صلاح الدين ان يكون السور محيطا بالقاهرة والقلعة فمات قبل أن يتم فاهمل العمل الى ان كانت سلطنة الملك الكامل انتهى

وعاد صلاح الدين الى الشام بجيش آخر وفتح بيت المقدس بعد وقعة عظيمة بالقرب من مدينة طبرية سنة ١١٨٧ م سنة ٥٨٣ هـ

أسر فيها ملك بيت المقدس (جي لوزينيان) وسجنه ومعه جماعة من رؤساء المعابد والمضايف وفتح كثيرا من البلاد الشامية التي كانت بيد الافرنج وله حروب كثيرة مع الصليبيين سيأتي ذكرها وكان شجاعا كريما حليما حسن الاخلاق متواضعا صبورا ومات بقلعة دمشق سنة ٥٨٩ هـ أي سنة ١١٩٣ م ودفن بشمال الجامع الاموي

﴿الملك العزيز بن صلاح الدين﴾

ولما مات صلاح الدين قام بالامر بعده ابنه العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان وكان ينوب عن أبيه بمصر في حياته ولما قبض على زمام مملكة أبيه حصلت حروب بينه وبين أخيه الملك الافضل استولى فيها على دمشق لوحشة جرت بينهما وكان العزيز حسن السيرة حميد الاخلاق وانما كان ضعيف الرأي حتى ان جماعة من أمراء مملكته وأعيانها أشاروا عليه بهدم الاهرام الكبيرة لزعمهم ان بها دفائن وكنوزا فاصدر أمرا بهدمها فجمعوا لذلك العمال وصناع اللغم وجعل عليهم بعض الامراء وأقاموا على ذلك ثمانية أشهر وكان لا يمكنهم الاخلاع حجر أو حجرين في اليوم فكف عن هذا الامر بعد ان صرف عليه أموالا جسيمة وكان ذلك سنة ٥٩٣ هـ سنة ١١٩٦ م وفي سنة ٥٩٤ هـ سنة ١١٩٨ م منع ما كان يحصل في موسم خليج القاهرة وكان الناس قد اعتادوا على ذلك من القديم فعظم الامر عليهم وحصل الاضطراب حتى هموا بخلعه والخروج عن طاعته لولا ان بلغهم خبر موته وذلك سنة ٥٩٥ هـ سنة ١١٩٩ م ودفن بتربة الامام الشافعي

﴿الملك المنصور بن الملك العزيز﴾

وبموته اشتدت الفتن لانه عهد لابنه الملك المنصور وعمره تسع سنين فقام بامور الدولة بهاء الدين قراقوش الاسدي (عبد خصي) الاتابكي فاختلف عليه الامراء وكاتبوا عمه الملك الافضل على فقدم من (صرخد) واستولى على الامور فلم يبق للمنصور معه سوى الاسم وولد سيدي أحمد البدوي

رضى الله عنه فى ذلك الوقت أى سنة ٥٩٦ هـ سنة ١٢٠٠ م وأراد الافضل أخذ دمشق من عمه الملك العادل فجهز الجيوش اليها وحصل بينهما وقائع تمت بهزيمة الافضل فدخل العادل مصر وأعاد الافضل الى صرخد وقام بكفالة المنصور ثم خلعه وحبسه بالقاهرة حتى مات واستبد بسلطنة مصر وبلاد الشام وأخرج المنصور واخوته من القاهرة الى الرها وأخذ فى تدبير مملكته واعلاء شأنها بمحاربة أعدائها والدفاع عنها وكان جسورا صبورا على الاهوال حليما كريما جزيل العطاء ومات سنة ٦١٥ هـ سنة ١٢١٨ م

﴿الملك الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد﴾

تولى بعد موت أبيه العادل وهو الذى أتم بناء قلعة الجبل وأنشأ بها الدور السلطانية فى أثناء نيابته عن أبيه سنة ٦٠٤ هـ ولما مات أبوه انتقل من دار الوزارة الكبرى بالدرب الاصفر اليها وهو أول من سكن القلعة وجعلها منزلا للرسل ونقل سوق الخيل الى الرميلة فأخذت الناس من وقتئذ فى تعمير ما حولها من الدرب الاحمر والحجر وجهة القطائع والصليبة بعد ان كان بعضها بساتين وبعضها مقابر وعمر القبة على ضريح الامام الشافعى رضى الله عنه ومات سنة ٦٣٥ هـ ودفن بدمشق

﴿سيف الدين أبو بكر﴾

ولما مات الكامل قام بالامر بعده ابنه سيف الدين ولقب بالملك العادل الاصغر فوقع بينه وبين أخيه الملك الصالح نجم الدين منازعات انتهت بخنقه بيد الامراء لكونهم استوحشوا منه بسبب انهماكه على اللهو واشتغاله بالشهوات وكان موته سنة ٦٣٧ هـ ودفن عند الامام الشافعى

﴿الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل﴾

تولى بعد موت أخيه سيف الدين وفى مدته سنة ٦٤٧ هـ أخذ الافرنج دمياط تحت قيادة لويز التاسع ملك فرنسا وهو المعروف عند مؤرخى الاسلام باسم (افرنيس) فمات بالمنصورة فأخفت زوجته شجرة الدر

موته وصارت تعلم بعلامته سرا وحمل الى القاهرة ودفن هنالك وأرسلت الى ابنه (توران شاه) فحضر وكان بديار بكر فحارب الفرنج وأسر ملكهم لويز التاسع السالف الذكر في واقعة فرسكور وسجنه بالمنصورة بمحل يعرف بدار لقمان ووكل بحفظه طواشي يقال له صبيح وبقي أسيرا الى ولاية شجرة الدر وقتل (توران شاه) المذكور بعدان حكم شهرين فقامت بالامر بعده شجرة الدر وكانت تحسن التدبير عن زوجها وجعلت عز الدين ايبك التركماني نائبا عنها وأطلقت لويز من السجن بعد اتفاق بينها وبين الفرنج وسلموا دمياط الى المصريين ودفعوا أموالا جسيمة وتركوها بعدان أقامت بيدهم احدى عشر شهرا ثم تزوجت بنائبها المذكور وبعد ذلك اتفق الامراء على تولية الملك الاشرف موسى ابن الملك الصالح وأشركوا اسمه مع شجرة الدر وذلك سنة ٦٤٨ هـ سنة ١٢٥١ م وفي ذلك الوقت عظم أمر المماليك البحرية وتسلطنوا على مصر وكانوا ألف مملوك قد اصطفاهم الملك الصالح لخدمته وأسكنهم بالقلعة التي بالروضة وكان لهم على شطوط النيل مراكب مشحونة بالسلاح ومهمات الحرب ولهذا كانوا يسمون المماليك البحرية

وقبل التكلم على هذه الدولة أي دولة المماليك البحرية نذكر طرفا من أخبار السلجوقيين الذين بظهورهم ضعفت خلفاء بني العباس وزالت بالكلية والجزئية باغارة المغول

الباب الحادي عشر

﴿السلجوقيين وحروب الصليب﴾

كان دقاق أبو سلجوق من مقدمي الترك ونشأ سلجوق وعليه أمارات النجابة فقدمه بيغو ملك الترك ثم خاف من بيغو فدخل وكل من أطاعه في دين الاسلام لسعادته وأقام بنواحي جند (بفتح فسكون) قرية وراء بخارى وصار يقاتل كفار الترك وتوفي سلجوق المذكور بجند وعمره ١٠٧ سنة